طرائق السلف في التفسير
أهميتها وخصائصها وأنواعها

✍ د. عثمان المهدي صديق (★)

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله وخيرته من خلقه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً... أما بـعـــد:

فإن القرآن الكريم كلام الله سبحانه، أودع فيه الهدى والنور، وأبان فيه العلم والحكمة، فأقبل السلف الصالح ينهلون من معينه والعلماء من بعدهم يستنبطون من أحكامه، واهتدى أهل البيان بنظامه، وتفكر المفكرون في قصصه وأخباره، وتأملت طائفة في حججه وبراهينه.

ولقد هيأ الله لكتابه رجالاً أوقفوا حياتهم على حفظه وتأويله، وأفنوا أعمارهم في معرفة معانيه وتفسيره، واستفرغوا جهدهم في تعلمه وتعليمه، فعرفوا وجوه قراءته ومواضع تنزيله، وصارت لهم دراية واسعة بمعاني مفرداته وتراكيبه، فحفظ الله بهم كتابه ودينه، حتى غدا كتاب الله ميسراً لكل راغب ومذللاً لكل طالب.

وكان على رأس هؤلاء الرجال سلفنا الصالح من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان، ومن بعدهم من أتباع التابعين، والسلف الصالح نزل القرآن بلغتهم، وعايشوا وقائع نزوله، وأحداث تنزيله، وخلا عصرهم من البدع والهوى، فكان حرياً بنا أن نقف عند طرائق تفسيرهم ونتأمل في تفاسيرهم لنفيد منها الفوائد، ونستنبط منها الأصول والقواعد.

لأجل هذا يكتسب هذا الموضوع أهمية دراسته والوقوف عليه من خلال

(★) استاذ مشارك بجامعة أفريقيا العالمية منتدب إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

طرائق السلف في التفسير.

أسباب اختيار الموضوع:

1 - الرغبة في خدمة كتاب الله تعالى لمرضاته، وطمعاً في ثوابه وعطائه.
2 - الاستفادة من طرائق تفسير السلف وكيفية التعامل معها.
3 - خلاصة مصدر مهم من أهم مصادر التفسير وهو تفسير السلف الذي يعد المصدر الثالث بعد تفسير القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة.

– منهج البحث: قد سلك الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي.

– خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع أن يقسم إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة. وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث وخطة البحث.

التمهيد: وقد بينت فيه مفهوم السلف ومفهوم التفسير في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: تحدثت فيه عن أهمية تفسير السلف وخصائصه وحجيته. وقد ضمنته ثلاثة مطالب: فالمطلب الأول: كان بعنوان: أهمية تفسير السلف.

والمطلب الثاني: جعلته للكلام عن حجية تفسير السلف.

المبحث الثاني: طرائق التفسير عند السلف وأنواعها، وقد ضمنته ثلاثة مطالب: ففي المطلب الأول تناولت التفسير باللفظ عند السلف والثاني خصصته في التفسير على المعنى وأنواعه، والمطلب الثالث جعلته للتفسير بالقياس والاعتبار.

وفي الختام ذيلت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد:

سوف أمهد لهذا البحث بتعريف مفهوم السلف ومفهوم التفسير وأبدأ بمفهوم السلف ثم أدلف لمفهوم التفسير:

أولاً: مفهوم السلف:

- **كلمة السلف لغة**: مأخوذة من الفعل سَلف الدال على معنى التقدم والسبق، يقال: سلف يسلف، سلفاً، وسلوفاً تقدم، والسالف المتقدم، والقدم السلاف: المتقدمون، وسلف الرجل آباؤه المتقدمون[1].

والسلف المتقدم، قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾[2]، أي: معتبراً متقدماً، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين "السلف الصالح"[3].

- **كلمة السلف اصطلاحاً**: التعريف اللغوي لكلمة "السلف" عام، يشمل كل من تقدم غيره وسبقه، دون تخصيص لهذا السابق بصلاح أو غيره، ودون تخصيص له بزمن معين. فإذا كان المعنى اللغوي لكلمة السلف يعم جميع الأزمنة المتقدمة، فبدهي أن التعريف الاصطلاحي مخصص بزمن ما، وقد جرى كثير من أهل العلم على تخصيص مصطلح "السلف" بالقرون الثلاثة الخيرية المتقدمة، والمقصودبهم الطبقات الثلاث: الصحابة والتابعون، وأتباعهم، فهؤلاء هم سلف الأمة الإسلامية، وقد دل على ذلك حديث النبي ﷺ: (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، فلا أدري في الثالثة، أو في الرابعة قال: ثم يتخلف من بعدهم خلف، تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)[4].

ففي هذا الحديث تعديل لأهل القرون الثلاثة، وتفضيل لهم على من بعدهم، فهم سلف لمن بعدهم في كل خير وفي كل فضل.

ومما يؤيد تخصيص مصطلح السلف بالقرون الثلاثة: قول ابن حجر

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة "سلف" ، (1239/2).

(2) سورة الزخرف الآية: (٥٦).

(3) ابن منظور، لسان العرب، مادة "سلف" (2068/2) بتصرف..

(4) أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد، حديث رقم (2652) ص(528)، ومسلم، باب كتاب الصحابة، باب فقه الصحابة، حديث رقم (2533/ 2694).

العسقلاني في شرح الحديث السابق: "واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين من يقبل قوله: من عاش إلى حدود العشرين ومائتين ..." [1].

وعلى ضوء ما سبق عرف العلماء السلف بأنهم أهل القرون الخيرية الثلاثة: الصحابة، والتابعون، وتابعوهم.

ثانياً: مفهوم التفسير:

- **التفسير لغة**: مشتق من الفسر، وهو الكشف والبيان، يقال: "فسر الشيء يفسره: أبانه، والتفسير مثله، والفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل[2].
- **التفسير اصطلاحاً** : تعددت أقوال العلماء في تعريف التفسير، وكثرت أقوالهم في بيان ماهيته، وسأعرض بعض هذه التعريفات:-

عرفه أبو حيان بقوله: "التفسير: علم بحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات ذلك"[3].

فقولنا: (علم) جنس يشمل سائر العلوم.

وقولنا: (بحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن): هو علم القراءة.

وقولنا: (ومدلولاتها) أي: مدلولات تلك الألفاظ، وهذا علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم.

وقولنا: (وأحكامها الإفرادية والتركيبية) هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع.

وقولنا: (ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب) يشمل ما دلالته بالحقيقة، وما دلالته بالمجاز فإن التركيب قد يقتضي بظاهرة شيئاً، فيحمل على غيره مجازاً.

وقولنا: (وتتمات ذلك) هو مثل معرفة النسخ، وسبب النزول، ونحوه.

وقال الزركشي: "التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (6/7) بتصرف يسير..

(2) ينظر: مقاييسي اللغة لابن فارس مادة "فسر" (504/4)، ولسان العرب مادة "فسر" (3412/5).

(3) البحر المحيط لابن حيان الأندلسي (13/1، 14).

ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه"[1].

وعرفه الزرقاني بقوله: "علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"[2].

وإذا نظرنا في هذه التعريفات نجد الأنسب من هذه التعريفات لعلم التفسير هو تعريف الزركشي، وتعريف الزرقاني رحمهما الله وذلك لأنهما جمعا بين الاختصار والوجازة، وبين إدخال كل العناصر المكونة للمصطلح.

وإذا أردنا أن نرجح بين تعريفي الزركشي والزرقاني نجد أن تعريف الزركشي أصوب وأرجح. والله تعالى أعلم.

(1) البرهان في علوم القرآن للزركشي (13/1).

(2) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (7/2).

المبحث الأول
أهمية تفسير السلف وخصائصه وحجيته

المطلب الأول: أهمية تفسير السلف:

تفسير السلف له من المزية والمكانة ما ليس لغيره، ولقد قام النبي ﷺ ببيان معاني القرآن وبيان ألفاظه لأصحابه رضي الله عنهم، ولم يترك شيئاً استحق البيان والتفسير في عهده ﷺ إلا بينه ووضحه لهم.

ولا يخفى على كل منصف ما لتفسير سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم من الأهمية الكبرى والمكانة العظمى، وذلك لكونهم أعلم الناس بكتاب ربهم، وأبصرهم بمعانيه، ومراميه.

ولهذا كان الصحابة – رضوان الله عليهم- يعتنون بمعاني القرآن الكريم وبتفسيره فجمعوا بين التلاوة والتدبر، وبين الاشتغال بالحفظ والاشتغال بمعرفة المعاني والأحكام فتعلموا العلم والعمل معاً.

قال أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه: "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن. كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما. أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا العلم والعمل جميعاً"[1].

وقال أنس رضي الله عنه: "كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جلّ في أعيننا"[2].

وذكر الإمام مالك في الموطأ أن ابن عمر رضي الله عنهما أقام على حفظ

(1) انظر: تفسير الطبري (35/1). والمقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص9.
(2) المقدمة في أصول التفسير، ص9. وتفسير الطبري، (36/1).

سورة البقرة ومكث عليها ثمان سنين يتعلمها[1].

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يرون أن علم التفسير والاشتغال به من أهم ما يجب الاشتغال به، ومن أهم ما ينفع المرء في دينه ودنياه وفي حياته وفي أخراه ، وأنه به يدرك كل علم نافع صالح، ومن جهة جمع علم الأولين والآخرين، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن"[2] أي: فينقر عنه ويفكر في معانيه وتفسيره وقراءته[3].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[4]، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: الحكمة معرفة القرآن، ناسخه ومنسوخ ه، ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعاً في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ قال: القرآن، قال ابن عباس: يعني تفسيره، فإنه قد قرأه البر والفاجر[5].

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: "الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالأعرابي يهذ الشعر هذاً"[6].

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم معايشين لنزول القرآن، فقد نزل القرآن بين أظهرهم فتعلموا من رسول الله ﷺ كثيراً من معاني القرآن، وتلقوا منه القواعد والضوابط التي يبنى عليها علم تفسير القرآن، ونقلوا ذلك لمن بعدهم

(1) موطأ الإمام مالك، كتاب النداء للصلاة، حديث رقم (428).

(2) أخرجه الطبري في المعجم الكبير برقم (8664)، ج9، ص135. والبيهقي في شعب الإيمان برقم (1960)، وقال الهثمي في مجمع الزوائد (165/7): رواه الطبراني بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح .51

(3) انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، مادة "ثور".

(4) سورة البقرة الآية: (269).

(5) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ج1، ص323. وانظر: الإتقان، ج2، ص494.

(6) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج2، ص494. وتفسير الطبري، ج1، ص18.

من التابعين وأتباعهم.

وقد كان لوجود الصحابة رضوان الله عليهم في العصر النبوي أثر بالغ في فهمهم للقرآن، إذ كان بين أيديهم رسول الله ﷺ الذي أوكل الله إليه مهمة بيان القرآن قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1]، فهو يبين لهم ما يحتاجون إليه من معاني القرآن، ويوضح لهم ما أشكل عليهم، كما يتيح لهم الاجتهاد في فهم القرآن، فيقر مصيبهم على اجتهاده، ويبين لمخطئهم وجه خطئه، فاستقوا هذا العلم من أصيل منابعه، وتعلموا وضع كل معنى في مواضعه، فصار تفسيرهم بذلك أصلاً يعتمد عليه من جاء بعدهم، ويبنى عليه من سلك سبيلهم.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: "... أعرف الناس بمعاني القرآن، وأحراهم بالوقوف على كنهه ودرك أسراره، الذين شاهدوا الوحي والتنزيل، وعاصروه وصاحبوه، بل لازموه آناء الليل والنهار، متشمرين لفهم معاني كلامه وتلقيه بالقبول"[2].

وقال الشاطبي رحمه الله: "فإن السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه، وما أودع فيه"[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف أن خير قرون هذه الأمة – في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة – القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة: من علم وعمل، وإيمان وعقل، ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل"[4].

المطلب الثاني: خصائص تفسير السلف:

---

(1) سورة النحل الآية: (44).

(2) إلجام العوام عن علم الكلام ضمن القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي (272/2) بتصرف.

(3) الموافقات للإمام الشاطبي (67/2).

(4) مجموع الفتاوى لابن تيمية (158/4).

لقد خص الله السلف الصالح بخصائص عظيمة، وقد توافر عندهم من الأدوات اللازمة لتفسير القرآن ما لم يتوافر لغيرهم من فصاحة اللسان وعذوبة البيان، وتوقد الأذهان، ومعايشة لكثير من الأحداث التي نزل بها القرآن وخلو عصرهم من الاختلافات العقدية والتعصبات المذهبية وإتباع الهوى، وقلة الخطأ وندرته في تفسيرهم.

وتظهر خصائص تفسير السلف من خلال ما يلي:

1- قرب السلف من عصر النبوية:

لاشك أن العهد كلما كان أقرب بعهد الرسول ﷺ كان الصواب أغلب [1]، والخطأ أبعد، وقد كان لوجود الصحابة في العصر النبوي أثر بالغ في فهمهم للقرآن؛ لأن الصحابة هم الذين عاصروا التنزيل، وشاهدوا التأويل من نبي الله تعالى وهو يفسر كتاب الله ويبين معانيه، بما أراه الله، فكان الأجدر الأخذ عنهم والتلقي منهم، وتقديم تفاسيرهم على غيرهم[2].

2- معايشة الصحابة لكثير من الوقائع والأحداث التي نزل فيها القرآن:

ولاشك أن الصحابة كانوا أعلم الناس بالأحوال والأحداث التي واكبت تنزيل القرآن، لكون القرآن نزل في البيئة التي يحيون فيها والمجتمع الذي يعيشون فيه، فعرفوا الآيات وفيمن أنزلت، ومتى نزلت ولماذا نزلت، وأين نزلت، وكان كل ذلك عن مشاهدة منهم ومعاينة.

وقد جعل العلماء من أسباب تقديم تفسيرهم على من بعدهم: مباشرتهم لوقائع وأحداث التنزيل، فقد ذكر الشاطبي من أسباب تقديم تفسيرهم على من بعدهم: "مباشرتهم للوقائع والنوازل وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة فهم أقعد في فهم القرائن الحالية وأعرف بأسباب التنزيل ويدركون ما لا يدركه غيرهم"[3].

(1) أعلام الموقعين لابن القيم، (95/4).

(2) بتصرف من التفسير مصادره واتجاهاته. أ. عبد العزيز بن عبد الرحمن، ص79.

(3) الموافقات للشاطبي (285/3) بتصرف.

3- معرفتهم بلغة العرب:

لقد نزل القرآن بلغة العرب، جارياً على معهودهم في الخطاب، وعادتهم في الكلام، وكذا فإن فهمه يكون جارياً على مقتضى لغة العرب ومعهودها – ولما كان القوم الذين نزل فيهم القرآن – هم أهل اللغة – فكانوا أقدر الناس على فهم القرآن وتفهم معانيه.

قال مجاهد رضي الله عنه: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب"(1).

ويقول الشاطبي رحمه الله: "القرآن نزل بلسان العرب على الجملة فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة.. قال: فمن أراد تفهمه من جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة"(2).

وإذا تأملت تفاسير السلف وجدتها جارية على وفق لغة العربية وقواعدها، قال الإمام الشاطبي: "وما نقل من فهم السلف الصالح في القرآن فإنه كله جار على ما تقضي به العربية، وما تدل عليه الأدلة الشرعية"(3).

4- خلو عصرهم من الاختلافات العقدية والتعصبات المذهبية:

القرون المشهود لها بالخيرية قرون خير وبركة فلم يكن فيها اختلاف في المعتقدات أو تعصبات لمذاهب معينة أو إتباع للهوى، فإن الاختلاف والتفرق منشؤه سوء القصد وإتباع الهوى وقد خلا عصر السلف من ذلك كله فكانوا (أبر

(1) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج4، ص185.
(2) الموافقات للشاطبي، ج2، ص375.
(3) الموافقات للشاطبي، ج3، ص343.

قلوباً، وأعمق علماً، وأقل تكلفاً، لما خصهم الله تعالى به من فصاحة اللسان وسعة العلم، وحسن القصد، وتقوى الرب تعالى فليس في قصصهم إلا أمران؛ أحدها: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا، والثاني: معناه كذا وكذا)[1].

5- قلة الخطأ وندرته في تفسيرهم:

فإن الباحث في تفسير السلف يلحظ بوضوح أن تفاسيرهم يندر فيها الخطأ، والسبب في ندرة خطئهم راجع إلى اكتمال أدوات الاجتهاد في تفسير القرآن لديهم من قرن عصر النبوة، ومعايشتهم لوقائع التنزيل، وعظيم علمهم بلغة العرب[2].

المطلب الثالث: حجية تفسير السلف:

السلف الصالح أقرب عصراً من النبوة، وأعمق صلة بكلام الله ورسوله وأزكى فهماً، وأصح لساناً، ولذا كان فهمم للنصوص الشرعية حجة على من بعدهم، ولكن نجد لكل طبقة من طبقات السلف يكون لتفسيرها من الحجية والقبول ما ليس لغيرها، فليست على درجة سواء، أعني أن أقوال الصحابة لا تعدلها في الحجية أقوال التابعين، وكذا أقوال التابعين لا تعدلها في القبول والحجية أقوال أتباع التباعين. وسوف أتحدث على حجية أقوال الصحابة ثم أقوال التابعين، ثم أقوال أتباع التابعين على النحو التالي:

أولاً: حجية تفسير الصحابة:

تفسير الصحابة دائر بين كونه منقولاً عنهم، أو صادراً عن اجتهاد منهم، ومن هنا يتبين لنا أن تفسير الصحابة ينقسم إلى قسمين من جهة حكمه وحجيته:

القسم الأول: ما كان عماده ومرجعه النقل، وذلك إذا كان تفسيره راجعاً إلى أسباب النزول، أو حكاية واقعة حدثت في عهد النبي ﷺ، أو كان مما هو من قبيل التوقيف مما ليس للرأي فيه مجال.

قال الحاكم النيسابوري في المستدرك: "تفسير الصحابي الذي شهد الوحي

(1) بتصرف من أعلام الموقعين (120/4).

(2) أسباب الخطأ في التفسير (963/2).

والتنزيل فأخبر عن آية من القرآن أنما نزلت في كذا وكذا، فإنه حديث مسندٍ"[1].

القسم الثاني : وهو ما كان صادراً عن اجتهاد منهم، وهو كل تفسير للصحابي كان مما يدخله الرأي، أو كان مما يتعلق بأسباب النزول وهذا عندهم من قبيل الموقوف، ومن ذلك ما رواه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ﴾[2] تلقاهم جهنم يوم القيامة، فتلفحهم لفحة فلا تترك لحماً على عظم إلا وضعته على العراقيب[3].

قال الحاكم: وأشباه هذا من الموقوفات تعد في تفسير الصحابة. وكذلك ما كان صادراً عن الصحابة لمعاني الألفاظ بحسب لغة العرب فلا شك في قبوله، قال الزركشي: "ينظر في تفسير الصحابي: فإن فسره من حيث اللغة: فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم" [4]، وكذلك إذا اتفق الصحابة على معنى من المعاني فلا محيد عنه لأحد ولا يجوز مخالفته بحال، ووجب الأخذ به واعتماده.

وكذلك إن اختلفوا لم يكن قول بعضهم حجة على بعض، لكن مجموع الأقوال الواردة عنه في ذلك حجة[5].

ثانياً: حجية تفسير التابعين:

أقوال التابعين في التفسير اختلف حولها أهل العلم على عدة أحوال:

1 - أن يكون تفسيرهم مجمعاً عليه فيما بينهم فلا شك في كونه حجة.

2 - أن يكون التفسير الصادر عنهم مما ليس للرأي فيه مجال فهذا حجة.

3 - أن يكون مرجع تفسيرهم لغة العرب فقولهم أولى بالتقدم والحجة من غيرهم.

(1) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري، ص20.
(2) سورة المدثر الآية: (٢٩).
(3) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري، ص20.
(4) البرهان في علوم القرآن للزركشي (172/2).
(5) الموافقات للشاطبي (285/3). البرهان في علوم القرآن (172/2). قواعد التفسير (178/1).

4 - أن يختلف التابعون فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، وإنما يرجح بين أقوالهم[1].

وقد روى عن الإمام أحمد رحمه الله في أقوال التابعين في التفسير روايتان: المنع من الرجوع إلى أقوالهم، والجواز.

والجمهور يرون أن أقوال التابعين في التفسير معتمدة ويحتج بها[2].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمته عن أقوال التابعين: يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم[3].

ثالثاً: حجية تفسير إتباع التابعين:

لقد كان جل اهتمام أتباع التابعين منصرفاً إلى رواية تفسير التابعين، ولذلك قل الاجتهاد فيهم، مقارنة بطبقة الصحابة، وطبقة التابعين، واجتهادهم لا يخلو، إما أن يكون مجمعاً عليه أو مختلفاً فيه، فإن كان مجمعاً عليه كان حجة، وإن اختلفوا تخير الباحث في أقوالهم ورجح بينها[4].

المبحث الثاني
طرائق التفسير عند السلف وأنواعها

المقصود بطرائق التفسير هي أساليب التفسير أو الطرق والمسالك التي يسلكها المفسر من السلف في تفسيره للجمل والألفاظ القرآنية، وهذه الطرائق لا تخرج عند السلف من التفسير باللفظ، أو التفسير على المعنى، أو التفسير

(1) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج2، ص158. قواعد التفسير (195/1).
(2) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ص158.
(3) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، ص45-46.
(4) بتصرف من قواعد التفسير (200/1).

بالإشارة والقياس، وسوف أتناولها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التفسير باللفظ:

وهو أن يفسر المفسر اللفظة بما وضعت له في لغة العرب، وهذا هو التفسير المباشر للفظ، وهذا هو الأصل في بيان معاني الكلمات، أن ينظر المفسر إلى معنى اللفظ في كلام العرب، إذ تحصيل معاني الألفاظ هو السبيل إلى إدراك المعاني.

وقد ذكر هذه الطريقة ونبه عليها إمام المفسرين، (الطبري) فقال: "فحمل تأويل الكلام على معناه دون البيان عن الكلمة بعينها. فإن أهل التأويل ربما فعلوا ذلك لعلل كثيرة تدعوهم إليه"[1].

ومثاله تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ ﴾[2]، قال قتادة والضحاك: مسطور: مكتوب[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ۝٥ ﴾[4]، أي فتت، ورد ذلك عن ابن عباس، ومجاهد وعكرمة، والسدي[5].

وقد انتهجت معاجم اللغة وكتب غريب القرآن هذا الأسلوب.

يقول الإمام أبو حيان في مقدمة كتابه تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: "... واقتصر في ذلك على شرح الكلمة الواقعة في القرآن من غير تعرض لسائر تصاريفها التي لم تقع فيه، واعتمدت في ذلك على كتب أئمة اللغة... دون ما يوجد في كتب المفسرين، إذ المفسرون يفهمون من اللفظ معنى فيعبرون عنه بلفظ آخر، تارة يكون مطابقاً لما في اللغة، وتارة يكون مخالفاً"[6].

مخالفاً"[6].

المطلب الثاني: التفسير على المعنى وأنواعه:

التفسير بالمعنى وهو أن يذكر المفسر المعنى المراد من الآية دون

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (185/1).
(2) سورة الطور الآية: (٢).
(3) جامع البيان للطبري (16/27).
(4) سورة الواقعة الآية (5).
(5) جامع البيان للطبري (168/27).
(6) تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان الأندلسي (4/3).

التعرض إلى معنى الألفاظ في اللغة، ولقد اعتنى السلف وتنوعت أساليبهم في إيضاحه والدلالة عليه، فتارة يفسرون اللفظ بلازم معناه، وتارة يفسرونه، بجزء، معناه، لكون هذا الجزء دالاً على بقية المعنى، وتارة يزيدون في إيضاحه بذكر مثال أو أكثر من الأمثلة الداخلة عليه، وينقسم التفسير على المعنى إلى عدة أنواع:

النوع الأول: التفسير باللازم:

وهو تفسير الآية بمعنى ليس مأخوذاً من ظاهر ألفاظها في الأصل لكنه لازم للمعنى المراد تنبيهاً على دخول هذا اللازم في معنى الآية، أي أن المعنى الذي تدل عليه ألفاظ الآية يستلزم هذا المعنى ويشير إليه.

ومن أمثلته:

- قوله تعالى عن إبليس: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[1].

قال ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:

"وقال الحسن: أغويتني: لعنتني، وقيل معناه: خيبتني، قال القاضي أبو محمد: وهذا كله تفسير بأشياء لزمت إغوائه"[2].

ومنه ما ورد عن عكرمة في تفسير النسيان في قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴾[3]، قال إذا قبضت قال ابن كثير في تفسيره: "وهذا تفسير باللازم"[4].

النوع الثاني:

التفسير بجزء المعنى: المقصود به أن المفسر يذكر من المعنى الذي

(1) سورة الأعراف الآية: (16).
(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (380/2).
(3) سورة الكهف الآية: (24).
(4) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (149/5).

يتحمله اللفظ جزءاً منه، ليدل به على باقي المعنى أي: أن المفسر يذكر بعض ما يتضمنه اللفظ لكون ما ذكره دالاً على بقية المعنى، أو لكون السياق اقتضى تفسير اللفظ ببعض معناه.

ومن أمثلته:

- ما ذكره ابن عطية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴾[1] قال: والميزان العدل فيما قال الطبري ومجاهد وأكثر الناس، وقال ابن عباس والحسن وقتادة: إنه الميزان المعروف، قال القاضي أبو محمد: والميزان المعروف جزء من الميزان الذي يعبر به عن العدل[2].
- وكذلك ما ذكره الطبري في تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩ ﴾[3] قال الطبري مبيناً معنى الحكمة: يؤتى الإصابة في القول والفصل من يشاء من عباده، ومن يؤت الإصابة في ذلك منهم فقد أوتي خيراً كثيراً، ثم ذكر أنه ورد عن السلف في معنى الحكمة أقوال: الفقه في القرآن عن قتادة، الإصابة في القول والفعل قاله مجاهد، النبوة عن السدي[4].

النوع الثالث: التفسير بالمثال:

وهو تفسير اللفظ العام بصورة أو أكثر من صورة على سبل التمثيل لا

(1) سورة الرحمن الآية : (٧).
(2) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (224/5).
(3) سورة البقرة الآية: (٢٦٩).
(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (89/3).

على سبيل التخصيص. أي في التفسير بالمثال يكون الاتفاق على المعنى العام، ثم تختلف العبارات بسبب ذكر أمثلة لهذا العام.

ومن أمثلته:

- ما ذكره الإمام ابن عطية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [1]، قيل الحسنات الصلوات، وقيل: قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقال ابن عطية: وهذا كله إنما هو على جهة المثال في الحسنات[2]، وذكر ذلك ابن عاشور[3] وابن جزئ[4] في تفسيرهما.
- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[5]، (قيل في النعيم أقوال: منها الأمن، الصحة، الأكل، الشرب، وقيل تخفيف الشرائع، وقيل الإدراك بحواس السمع والبصر) [6] فهذا المذكور كله أمثلة للنعيم.

المطلب الثالث: التفسير بالقياس والاعتبار:

وهو إدخال المفسر في دلالة الآية معنى غير معناها الظاهر، لوجود شبه بين المعنيين.

أي: أن المفسر يقيس على المعنى الظاهر من الآية معنى آخر لم تنص الآية عليه وليس من لوازمها، ولكنه شارك المعنى الظاهر أو شابهه في وجه أو علةٍ، فأدخله المفسر في معنى الآية قياساً على المعنى المراد.

ونجد أن هذا الأسلوب أقل الأساليب وجوداً في تفاسير السلف وذلك لكون اهتمامهم منصباً على المعنى الأصلي للآية ويشترط لصحة هذا الأسلوب من التفسير شروط أربعة هي:

---

(1) سورة هود الآية: (114).
(2) المحرر الوجيز لابن عطية (417/7).
(3) التحرير والتنوير لابن عاشور (230/13).
(4) تفسير ابن جزي (193/4).
(5) سورة التكاثر الآية : (٨).
(6) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (612/1).

1 - ألا يناقض معنى الآية.
2 - أن يكون معنى صحيحاً في نفسه.
3 - أن يكون في اللفظ إشعار به.
4 - أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباطٌ وتلازمٌ[1].

ومن أمثلته:

ما ذكره الإمام ابن عطية عن مالك في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾[2]، قال: "وروي عن مالك أن هذه الآية في تشميت العاطس، وفيه ضعف؛ لأنه ليس في الكلام على ذلك دلالة، وأما أن الرد على المشمت مما يدخل بالقياس في معنى رد التحية فهذا هو منحى مالك إن صح ذلك عنه"[3].

(1) بدائع التفسير الجامع للتفسير لابن القيم (229/5). والتبيان في أقسام القرآن (51).
(2) سورة النساء الآية: (٨٦).
(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (87/2).

الـخـاتـمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلات والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً... أما بـعـد:

ففي خاتمة هذا البحث توصل الباحث إلى عدد من النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: النتائج:

1 - أن السلف الصالح رضوان الله عليهم لهم طرق وطرائق وتعابير يستعملونها عند تفسير القرآن.

2 - أن طريقة السلف العامة في التفسير هي طريقة الإجمال لا التفصيل.

3 - أن استنباط طرائق تفسير السلف تكون بالوقوف عند كتب التفسير التي تهتم بعبارة السلف وتعلق عليها.

ثانياً: التوصيات:

1 - أوصي الباحثين وطلاب العلم بالاهتمام والرجوع إلى أقوال السلف والوقوف عند طرائقهم في التفسير والاستفادة منها.

2 - أوصي الباحثين وطلاب العلم بالرجوع إلى كتب التفسير التي تهتم